– لا تستعمل مشاعر دنيئة في تربية الأطفال، مثل الخوف والحسد والجشع والغيرة كوسائل لتربية الأطفال، فمحاولة جعلهم طيبين بوسائل سيئة تؤدي إلى جعلهم أشرارا.
– شجع الأطفال على التعلم عن طريق الخبرة وتجنب الدروس المباشرة، كقوله "لا ينبغي أن نلقن الطفل دروسا لفظية، فالتجربة وحدها هي التي يجب أن تتولى تعليمه وتأديبه".

دور المربي حسب نظرية روسو: انطلاقاً مما سبق ذكره فإن دور المربي ينحصر عندهم في ملاحظة نمو الطفل نموا طبيعيا وتهيئة الفرص والظروف الملائمة لهذا النمو والتشديد على خبرة الطفل وميوله، أي إشراك الطفل في العمل والتجريب في المعامل، وتهيئة الظواهر لإدراكها وإلغاء النظام التعليمي القائم على السلطة العليا.

3– **النظرية السلوكية:** يُعتبر واطسن Watson وسكنرSkinner المتوفي سنة 1990م من مؤسسي المدرسة السلوكية، وهي مدرسة أمريكية تنادي بالمطابقة بين علم النفس والعلوم الطبيعية، أي الموضوع الملائم لعلم النفس هو ما يمكن ملاحظته وقياسه فقط (السلوك والأداء) لذا سمية **بالسلوكية**، أما التفكير والنوايا والمقاصد والعواطف هي من الأحداث العقلية لا يمكن رؤيتها ولا قياسها بدقة وبالتالي فهي بمعزل عن عملية التعلم، ومن هنا قاموا باختبار تغير السلوك الظاهر عند الانسان والحيوان نتيجة استثارات خارجية وأسموها بالتعلم. كذلك أجروا تجارب على الحيوان وقاموا بتعميم النتائج على الانسان لصعوبة اخضاعه للتجربة العلمية، فلا فرق عندهم إذن بين التعلم الانساني والتعلم الحيواني فالقضية هي مثير واستجابة (التعلم الشرطي الإجرائي) أدي إلى ارتباط التعلم بالتعزيز الخارجي، وهذا هو المبدأ في ادخال الوسائل التعليمية والآلات وبرمجة التعليم والتأسيس لتكنولوجيا التعليم، حتى غدت هذه النظرية تسيطر على دوائر التعليم في معظم الجامعات الأمريكية لأكثر من خمسين سنة، وهي نظرية معاكسة تماما لنظرية جون ديوي والمذهب الاجتماعي التجريبي. من أبرز شعارات هذه النظرية التربوية ما يلي:

- التعزيز الايجابي والتعزيز السلبي، قوانين التعلم وتجزيئ التعليم.
- الطفل صفحة بيضاء ونحن نخط عليها ما نريد.
- الطفل كالعجينة يسهل تشكيله.

ومن بين أسباب هيمنة الحركة السلوكية كنظرية تربوية ووجدت طريقها الى برامج إعداد المربين في المعاهد والجامعات ما يلي:

- نظرية منهجية ذات إطار مادي متكامل يعتمد على التجريب والملاحظة والقياس، يوفر القدرة على جمع المعلومات وتطبيقها والتوصل الى نتائج ملموسة.
- تعمل على تحسين السلوك الإنساني وضبطه وتوجيهه.

4- **النظرية البنائية الفردية:** يعتبر جون بياجي (1894 – 1980) وهو مفكر تربوي سويسري من مؤسسي ما يسمى بالنظرية البنيوية الفردية، حيث تنطلق نظرياته التربوية من عالم البيولوجيا إلى عالم الطفولة، حيث يقول بأن أجهزة جسم الإنسان تعمل بشكل معين وكل جهاز له وظيفته الخاصة به، كذلك الدماغ البشري هو كباقي أجهزة الجسم الأخرى له وظيفة التعلم. فالطفل عند بياجيه هو عبارة عن عالم صغير يبني فهما ذاتياً للعالم من حوله، ويتأثر بنوع المعرفة التي يبنيها خلال المرحلة العمرية التي يمر بها وكذا بالظروف والعوامل البيئية التي يتفاعل معها، وبالتالي فالطفل عند بياجيه يتطور ويتعلم. والمعرفة هي العلاقة بين الذات العارفة – الطفل – وموضوع المعرفة، وبالتالي فهو يختار المعلومات والمعارف التي يتعامل معها من البيئة ويتكيف معها (التمثل) وينظمها (المواءمة) ويحاول تفسيرها (التركيز على دور المتعلم في العملية التعليمية).

فالعلملية المعرفية حسب بياجي والنظرية البنائية في التربية هي عملية ارتقائية ذات صلة وعلاقة مباشرة

كما قام بياجيه بتحديد وضبط مراحل تطور الفكر البشري وفق أربع مراحل تتميز كل مرحلة عن الأخرى بخصائص وقابليات ذهنية جديدة وهي كما يلي:

– مرحلة التفكير الحسي الحركي: تبدأ منذ الولادة حتى السنتين، يكتشف المولود والصبي العالم باستخدام الحواس والمهارات الحركية المختلفة.

– مرحلة ما قبل العمليات المادية: من 02 سنة إلى غاية 07 سنوات، حيث يتعلم اللغة واستخدام الرموز ويركز على الأشياء في صورتها الأصلية والثابتة (المظهر).

– مرحلة العمليات المادية: من 07 سنة إلى غاية 11 سنة، يتطور لدى الطفل التفكير المنطقي والواقعي بعيدا عن التمركز حول الذات.

– مرحلة التفكير المجرد: من 11 سنة إلى سن الرشد، حيث يبدأ النشاط العقلي للطفل من خلال إجراء العمليات ووضع الفرضيات، ويفكر في الفوارق الممكنة بين الأشياء ويقوم بعمليات الاستنتاج بعد الملاحظة والتجربة.

إن أهم ما توصل إليه بياجي هو العمل على تشجيع التلاميذ على التعلم من خلال وضعهم أمام مواقف تعليمية تتجاوز قدراتهم (وضعيات الإشكال) بقليل وهذا ما يحفزهم ويدفعهم الى البحث عن الحلول وحل المشكلة والعودة الى حالة الاتزان. وبالتالي فهو في النقيض تماما للنظرية السلوكية إذا أردنا إجراء مقارنة بين النظريتين حسب الجدول التالي:

النظرية السلوكية	النظرية البنائية
– تهتم بالسلوك الظاهر والملاحظ للمتعلم فقط – تهيئة بيئة التعلم للتلاميذ للتشجيع على تعلم السلوك المرغوب – التعلم مرتبط بالتغيير في سلوك التلميذ	– تهتم بالعمليات الداخلية للمتعلم – تهيئة بيئة التعلم للتلاميذ لغرض بناء المعرفة بشكل ذاتي من طرف التلميذ – التركيز على الإجراءات الداخلية للتفكير

– جدول يمثل بعض أوجه الخلاف بين النظرية السلوكية والنظرية البنائية –

5– **النظرية البنائية الاجتماعية:** يُعتبر عالم النفس الروسي **ليف فايجوتسكي** *L.S.Vygotsky* (1896–1934) من بين المؤسسين والمهتمين بهذه النظرية التربوية التي تؤكد بأن المعرفة هي عبارة عملية تشاركية تبنى وتتطور بين عدة عقول أكثر مما هي خبرة فردية، حيث اهتم فايجوتسكي بمشكلة الوظائف العقلية العليا والوظائف العقلية الدنيا، وعلاقة ذلك بعملتي التعلم والنمو. انطلاقاً من أن الإنسان يتميز بمنعكسات فطرية بسيطة يسميها فايجوتسكي بالوظائف الأولية أو البدائية، والتي تتطور تدريجيا لتصبح وظائف عقلية عليا، لكنها لا تأخذ الصفة وتصل الى هذا المستوى بسبب النمو البيولوجي والتطور الفيسيولوجي حسب بياجيه. بل هي نتاج للعملية التطورية المعقدة والتطور التاريخي للإنسانية والنمو الثقافي للعمليات النفسية هذا الأخير يمثل نمو الوظائف العقلية العليا التي لا تتطلب تغيرا في الطبيعة البيولوجية للإنسان. فقد بينت الأبحاث أن الأطفال في مرحلة ما قد ينجزون أعمال ويكتسبون مفاهيم مجردة في مرحلة مبكرة من العمر، تفوق بكثير ما كان يُعتقد من قبل.

انطلاقا من هذه النظرية تم بلورة مجموعة من الأفكار والمبادئ التالية:

– تحسين مستوى التعليم من خلال التحسين الكيفي للنشاط العقلي العام للطفل.

– اعتماد طرق تدريس قائمة على خلق أشكال من التفكير جديدة.

– تغيير المضامين والطرق لاستثارة الإمكانيات العقلية للتلاميذ.

وحسب نظرية **فايجوتسكي** فإنه كي نضمن نقل التراث الحضاري والخبرة الاجتماعية الإنسانية، والتي تعتبر القوة الدافعة للنمو من جيل إلى آخر (معلم – تلميذ) لا بد من عدم الاقتصار على مسايرة مرحلة النمو والتكيف وفقها، بل لابد من الاستناد على تلك المصادر الهائلة لنمو النشاط العقلي عند التلميذ (الفطرة الإنسانية) مع استخدام طرق تدريس قائمة على خلق أشكال من التفكير جديدة منظمة وفق ما ينبغي أن يكون كنتيجة تعلم، لا كما هو كائن من خصائص عقلية قائمة بالفعل. ولقد ذهب **فايجوتسكي** الى القول بأنه لكي نفهم خصائص أي عملية نفسية ينبغي أن ننطلق من فهم تركيبة أو بنية الوعي ككل، وهذا بوضع بديل للتصورات النفسية على أنها وظائف عقلية تتمثل في الإحساس والإدراك والتذكر والانتباه وغيرها، والتي أعطيت مرة واحدة ولا تتكرر، وهي تنشأ في عملية النمو النفسي للطفل.

إن من بين مزايا النظرية البنائية حسب **فايجوتسكي** بالمقارنة مع النظرية السلوكية التي تركز على دور المركزي والجوهري والأساسي للمتعلم في العملية التعليمية، هو توسيع دائرة الوسيط التعليمي ليمتد خارج المتعلم ويتمثل في:

1- الأدوات المادية: تسمى بالأدوات السيكولوجية وهي شائعة الاستخدام في الموضوعات الطبيعية، جاءت نتيجة تراكم جهد بشري جماعي حسب فايجوتسكي، تهدف هذه الوسائط الى وضع متطلبات جديدة للعمليات العقلية وتأثيرها يكون غير مباشر على العمليات السيكولوجية للإنسان مثل:

- سحب القرعة: هو استعمال الفرد لأداة خارجية عند عدم التأكد من اتخاذ القرار.
- ربط العقدة: هو استعمال الفرد لأداة خارجية عند عدم التذكر.
- عد الأصابع: تنظيم العمليات العقلية بإجراءات حسابية بدائية.

2- الأدوات السيكولوجية: وهي مجموعة الرموز التي تتضمن اللغات الطبيعية والاصطناعية، ورموز لثقافات شعبية مختلفة.

3- المخلوقات الإنسانية: يوضح **فايجوتسكي** أن هذه الأخيرة لها دور كبير في بناء العمليات العقلية، حيث يوضح أن وظيفة في التطور الحضاري (الثقافي) للطفل تظهر مرتين: أولاً على المستوى الاجتماعي (بين الناس) وبعدها على المستوى الفردي (داخل الفرد) وهو ما يعبلا عنه فايجوتسكي بالتذويب أو الاستدخال.

إن جوهر النظرية البنائية الاجتماعية **لفايجوتسكي** تنطلق من استراتيجيات تحسين وظائف الطفل العقلية واستمرار وتتابع تلك العملية في المستقبل، وأثر الوسيط الانساني في ذلك، ودور الفرد الفعال في بناء معارفه وأفكاره، لذلك فهو يؤكد الفرق بين أطفال اليوم وأطفال الماضي وإنسان اليوم والغد غير إنسان الماضي والفرق بين الأطفال في البيئات المتنوعة. وبالتالي فهو يُوضح أنه لا بد على المربين أن يعملوا على الأخذ بأيدي التلاميذ والأطفال من خلال خلق بيئات تعليمية مناسبة، ووضع وتصميم برامج ترفع من ذكاءاتهم وتصقل مواهبهم، وقد تم الاستفادة من هذه النظرية والعمل بها حتى لتصميم برامج لمساعدة المتخلفين عقليا في الولايات المتحدة الأمريكية للرقي بهم الى مستوى الأسوياء وأكثر، كما هو الحال عند فيرشتاين R. Feuerstein.

6- النظرية الجشتالتية:

أ- **المنشأ:** الجشتالت هي كلمة ألمانية تعني "النمط" أو "الشكل"، والمعنى المرادف لها هو "الكل المنظم"، وهي حركة في ميدان علم النفس المعرفي انطلقت من ألمانيا الى أمريكا بعد الحرب العالمية الأولى، وعرفت شهرة كبيرة واحتلت مكانتها في ظل ظهور الثورة المعرفية.

ب- **أسس ومبادئ النظرية الجشتالتية:** يؤكد رواد هذه المدرسة أن الخبرة السلوكولوجية ليست مكونة من عناصر معدودة ثابتة ومتمايزة تحضر وتغيب مع الزمن، بل هي عمليات سيكولوجية ديناميكية منظمة تتأثر فيما بينها بشكل تبادلي. فالفرد عندما يمر بخبرة ما يدركها "ككل منظم"، فالكل سابق لجزئياته ومختلف عنهم

ولا قيمة للجزئيات إلا ضمن الخدمة والمهمة أو الوظيفة الكلية لشيء ما. كما يؤكد الجشتالتيون عدم فصل الكائن عن بيئته فسلوك الإنسان مثلا هو نتيجة تفاعله مع بيئته المحيطة (الطبيعية والاجتماعية).

ج- الإسهامات النظرية في ميدان التربية التعليم: انطلاقاً من تأكيد المدرسة الجشتالتية على الدور الفعال للفرد المتعلم فيما يتعلمه، من خلال تنظيم وإعادة بناء المادة التي عليه تذكرها، فإنها ميزت بين نوعين من التعلم: التعلم عن طريق الفهم الذي يتضمن ميكانيزمات تساعد على حل إشكالات ومهام ومواقف تعليمية معينة بشكل دائم ويسهل تذكره، والتعلم عن طريق الحفظ الذي يعتبر ظرفي يبقى فترة محددة يصعب الاحتفاظ به ولا يمكن الاستفادة منه في مواقف الحياة المختلفة. وبالتالي فقد كان لهذه النظرية إسهامات معتبرة في مجال علم النفس المعرفي المعاصر لاعتمادها على أهمية جوهر الإدراك والترميز الأصلي لحدث معين، وتأكيدها على الاستبصار والفهم دون استثارة خارجية كمبدأين للتعلم وحل المشكلة، عكس النظرية السلوكية التي سادت في سنوات الخمسينات والتي تفسر التعليم لدى الإنسان على أساس مبدأ مثير استجابة، وبعد تجريده من العمليات العقلية، وتُعد الطريقة الكلية في التدريس إحدى تطبيقات هذه المدرسة.

المحاضرة الرابعة

<u>ثالثاً/ النظريات التربوية الغربية المعاصرة</u>:

1/ النظريات الروحية: وهو تيار فكري قديم عاود الظهور في السبعينيات من القرن الحالي (1970م)، يطلق عليه التيار الروحاني أو الميتافيزيقي أو الاستعلائي، يعتمد على أفكاره التربوية من الديانات والفلسفات الشرقية القديمة (البوذية والطاوية)، حيث أذهل أولئك العاملين والمهتمين بالبعد الروحي للحياة وبمعناها على الأرض، يُعنى بالبحث في العلاقة بين الذات والكون من زاوية ميتافيزيقية. أهم رواد هذا التيار (هارمان، فاتيناز، ماسلو، ليونارد، فارغيسون...)، حيث تتمركز نظريات هؤلاء حول القيم الروحية، ويرون أنه ينبغي للشخص أن يتعلم كيف يتحرر مما هو معروف وكيف يتجاوز ذاته بغرض بلوغ القدرة على السمو إلى مستوى روحاني، متمسكا ومتحكما في ذلك المستوى من السمو، باستعمال طاقاته الباطنية والتركيز على التأمل الذاتي والاستغراق في التفكير الهادئ والملي. ويتصل الفرد مع روح الألوهية بداخله بكل ثقة، حيث أن هذه الطاقة الروحية موجودة في الفرد بتسميات مختلفة: الإله، الطاو، الخفي، الطاقة الربانية، الإيمان....الخ. ومن مؤسسيه يمكن أن نذكر أسماء مثل ريتشارد موريس باك الذي ألف سنة 1901 كتابا بعنوان: الشعور الكوني وفيه يؤكد على مفهوم الوحدة الإلهية للكون، وينتقد المبالغة في تقدير المعرفة العقلانية ويدعو إلى الإعلاء من قيمة المعرفة الكونية التي هي حسب هذا الباحث-أهم أشكال المعرفة . أما الإشكالية التي تنطلق منها النظرية الروحانية في التربية، فتكمن في كون الإنسان يواجه اليوم مشكلة أساسية، تتلخص في العبارات التالية: " لقد بنى الإنسان لنفسه حضارة مليئة بالمساوئ لكونها تقوم في جوهرها على طموحات مفرطة في الأنانية، وإن أصل مشاكلنا يتحدد في التنظيم الصناعي للحياة على الأرض، وأن هذه البنية الصناعية المنشغلة باستغلال الموارد والأشخاص، هي مصدر مشاكل المجتمع"